المحاضرة التاسعة

- المحاضرة التاسعة -

القيم

لقد حاز موضوع القيم على الكثير من الاهتمام من قبل علماء النفس والتربية وعلم الاجتماع والعلوم الدينية والإنسانية الأخرى كعلوم الأخلاق، وعلم الجمال، والمنطق والابستيمولوجيا (نظرية المعرفة) والاقتصاد والتاريخ والفلسفة والانتروبولوجيا والعلوم السياسية عبر العصور، فركز الفلاسفة على دراسة القيم منذ أيام أفلاطون وأرسطو حيث تؤيد الفلسفات المثالية استقلال القيم وانعزالها عن الخبرة الإنسانية أما الاتجاه الثاني فيتمثل في الفلسفات الطبيعية التي ترى أن القيم جزء لا يتجزأ من الواقع الموضوعي للحياة والخبرة الإنسانية، فالأشياء لا ترتبط بقيم سامية لسر كامن فيها، بل تكون دائما قيم الأشياء نتاج اتصالنا بها، وتفاعلنا معها وسعينا إليها، وتكوين رغباتنا واتجاهاتنا نحوها، فالقيم من نسيج الخبرة الإنسانية، وجزء لا يتجزأ من كيانها، والأشياء ليست بذاتها خيرة أو شريرة، صحيحة أو خاطئة، قبيحة أو جميلة، وإنما تكون الأحكام التي نصدرها من واقع تأثيرها في هذه الأشياء وتأثرنا بها.[1]

وفي العصر الحديث، كان العالم الألماني ادوارد سبرنجد أول من درس القيم دراسة عملية وذلك بنشره لكتابه "أنماط الرجال"، وبين فيه أن الناس ستة أنماط تبعا لسيادة واحدة من القيم التالية: النظرية الدينية، الجمالية، الاقتصادية، الاجتماعية، والسياسية.[2]

فالقيم هي من أهم الركائز التي تبنى عليها المجتمعات، وتقام عليها الأمم وتتعلق القيم بالأخلاق والمبادئ، وهي معايير عامة وضابطة للسلوك البشري الصحيح، والقيم الاجتماعية هي الخصائص أو الصفات المحببة أو المرغوب فيها لدى أفراد المجتمع، والتي تحددها ثقافته، لذلك فهي من العناصر الأساسية لتكوين الثقافة الشخصية وتؤثر تأثيرا كبيرا في حياة الأفراد الخاصة والعملية بوصفها احد المكونات الأساسية للشخصية يشمل تأثيرها سلوك الأفراد واتجاهاتهم وعلاقتهم، وهي بذلك توفر الإطار الذي يوجه سلوك الأفراد والجماعات التنظيمية داخل المنظمة وخارجها.[3]

أولا: مفهوم القيم:

---

[1]- انظر عدنان يوسف العتوم: مرجع سبق ذكره، ص 216.
[2]- المرجع نفسه، ص 217.
[3]- عادل محمد العدل: مرجع سبق ذكره، ص 253.

تعد القيم من أهم محددات السلوك الإنساني ومن مكونات التي تسهل التعامل والتفاعل بين الأفراد والجماعات، والقيم نتاج للتفاعل بين الفرد ومجتمعه وخاصية يتميز بها الإنسان عن غيره من الكائنات الحية الأخرىأن الاهتمام بالقيم وغرسها وتوجيهها هي إحدى المهمات والأهداف الرئيسية للتربية والتنشئة الاجتماعية خلال مراحل الحياة، فالقيم هي بمثابة أعمدة البناء للمجتمع، إن صلحت وسارت في الاتجاه الصحيح صلح النشء وسادت معاني الثبات والاستقرار والاعتدال والاستقامة في المجتمع بمعناه الواسع.[4]

وتعد القيم من المعالم المميزة للفرد الواحد في لي مجتمع ولكن هناك قيم قد تسود بين بعض الجماعات كنوع من الثقافة الفرعية كالقيم العلمية والإنسانية التي تسود بين الأطباء او القيم الاقتصادية التي تسود بين رجال المال والاقتصاد، فالقيم هنا تعمل على توجيه سلوك أبناء الثقافة الفرعية وأحكامهم، فتحدد لهم ما هو مرغوب فيه وما هو مرغوب عنه، بل تشكل الغايات المثلى التي يسعى لبناء هذه الثقافة إلى تحقيقها.[5]

اختلف علماء النفس في طبيعة القيم وتعريفها وقد كان الاختلاف بين علماء النفس وأثرا في آثار الخلاف بين الفلاسفة وعلماء الدين والاجتماع ومن هذه التعاريف مايلي:[6]

1- هي كل ما هو جدير باهتمام الفرد لاعتبارات مادية واجتماعية وأخلاقية أو دينية أو جمالية.

2- هي معيار لحكم يستخدمه الفرد أو الجماعة من بين عدة بدائل من مواقف تتطلب قرارا أو سلوكا معينا.

3- هي اعتقاد ثابت بان نموذجا معينا من السلوك أو غاية ما من الوجود، لها الأفضلية من الناحية الشخصية أو الاجتماعية مقابل نموذج آخر أو غاية.

4- هي مجموعة الأحكام المعيارية المتصلة بمضامين واقعية يتشربها الفرد من خلال تفاعله مع المواقف والخبرات المختلفة ويشترط أن تنال قبولا من جماعة اجتماعية تتجسد في سياقات الفرد السلوكية أو اللفظية.

---

[4]- عدنان يوسف العتوم: مرجع سبق ذكره، ص 215.
[5]- المرجع نفسه، ص 216.
[6]- عبد الحافظ سلامة: مرجع سبق ذكره، ص ص 85-86.

5- هي تلك الحالة من الدافعية التي تشير إلى المعايير الشخصية والثقافية أو هي التوجه الاختياري نحو التجربة، وتحوي الالتزام العميق أو الرفض الذي يؤثر في نظام الاختيار بداية ممكنة الفعل.

6- هي تكوين افتراضي يزود الفرد إلى العمل وفق أنماط سلوكية محددة حيال بعض الموضوعات أو الحوادث أو الأوضاع أو الأشخاص أو الأفكار.

7- هي عبارة عن تنظيمات معقدة لأحكام عقلية انفعالية معمقة نحو الأشخاص والأشياء أو المعاني، سواء كان التفضيل الناشئ عن هذه التقديرات المتفاوتة صريحا او ضمنيا، وهذه التفضيلات تمتد بين التقبل وتمر بالتوفيق وتنتهي بالرفض.

8-هي مجموعة من المبادئ والمعايير التي يضعها مجتمع ما في ضوء ما تراكم عليها من خبرات، وتتكون نتيجة عمليات انتقاء جماعية يصطلح أفراد المجتمع عليها لتنظيم العلاقات بينهم.

9-هي تصورات دينامية، صريحة أو ضمنية، تميز الفرد أو الجماعة، وتحد ما هو مرغوب فيه اجتماعيا وتؤثر في اختيار الطرق والأساليب والوسائل والأهداف الخاصة، وتتجسد مظاهرها في اتجاه الأفراد والجماعات وأنماط سلوكهم، ومثلهم ومعتقداتهم ومعاييرهم الاجتماعية، وترتبط ببقية مكونات البناء الاجتماعي، تؤثر فيه وتتأثر بها.

ثانيا: القيم والسلوك الأخلاقي:

تعد القيم الاجتماعية والأخلاق من أقوى ما تبنى به المجتمعات ومن أهم الروابط التي تربط بين أفراد المجتمع، ففيها تنتشر المحبة بين أفراد المجتمع، وتعم الأخوة بينهم، ويقوى التماسك والترابط بينهم بهذه القيم، فهي الضمانة لاستقرار المجتمعات، وازدهارها، ونجد أن الأمم التي تنهار، إنما تكون في انهيار القيم والأخلاق، فلا يمكن فصل القيم عن الأخلاق، فهما يشتركان معا في تحديد وضبط السلوك البشري في وجهته العامة والخاصة.[7]

ومن سبل بناء وتعزيز القيم الاجتماعية، التنشئة الأسرية، حيث يمثل الأبوان الأسوة الحسنة للطفل، فهما يغرسان القيم والأخلاق في الأبناء فإذا صلحا صلح الطفل، وإذا فسدا فسد الطفل أيضا والنظام التعليمي المتكامل الذي يركز على حاجات الطفل النفسية والعقلية على حد سواء، ويعمد إلى توجيه سلوك الطالب ورعايته باستمرار والإعلام أيضا وذلك بجعل القيم ميدانا من ميادينه وهدفا من

---

[7]- عادل محمد العدل: مرجع سبق ذكره، ص 245.

أهدافه، والتربية الدينية سواء كانت في الأسرة أم من خلال التوجيه في المساجد، أم المدارس أما لإعلام، فكل هذه حلقات متكاملة في التربية والبناء والتكوين.[8]

وترى مدرسة التحليل النفسي أن عملية اكتساب الأخلاق والقيم، تبدأ منذ مرحلة الطفولة المبكرة، حيث يكتسب الطفل أناه الأعلى من خلال التواجد مع الوالدين، إذ يقوم الوالدين بدور ممثلي النظام، فهما يعلمان الطفل القواعد الأخلاقية والقيم العليا والمثل العليا للمجتمع الذي يتربى فهويتم ذلك عن طريق استحسانه (الطفل) عندما يفعل ما يجب عليه فعله وإبداء عدم الرضا والانزعاج عندما يخطئ، فيما يجب أن يفعل ومن هنا يتكون لدى الطفل نظام من القيم والقواعد الأخلاقية المتمثلة بالمحتويات والمرغوبات فيكون ما اسماه فرويد بالأنا الأعلى وهو ما يقابل الضمير.[9]

فالقيم الأكثر أهمية في الحياة الإنسان وعلى ضوئها يتم الحكم على سلامة سلوكه واستقامته أو انحرافه.[10]

ثالثا: اتجاهات التربية الخلقية:

تنظر المدرسة المعرفية التطويرية إلى اكتساب القيم بنظر هذه المدرسة ليس محاكات لنموذج اجتماعي أو تكييف للسلوك الأخلاقي، بمقتضى المثيرات البيئية أو الإذعان لقواعد معينة، وإنما تؤكد أن الخلق ينشا من محاولة الفرد تحقيق التوازن في علاقاته الاجتماعية، وقدراته العقلية، ويعتبر بياجيه من اوائل هذه المدرسة، فقد أبدى اهتماما في بعض دراساته سلوك الطفل الأخلاقي، وطريقته في التفكير حول الأسئلة التي تتعلق بالصواب والخطأ وفهمه للقوانين الاجتماعية، وقام كولبرج وتلامذته ببناء نظرية تفصيلية مستخدما أسلوب بياجيه نفسه وحدد في نظريته مراحل النمو التي يمر بها الطفل، والبناءات المعرفية المنتظمة في نمو التفكير الأخلاقي.[11]

وينظر السلوكيون إلى القيم كسلوك يتم اكتسابه نتيجة عملية تفاعل المتعلم مع المثيرات البيئية وتعزيز استجاباته لها، فمن الممكن أن يتعلم الفرد السلوك المرغوب فيه، والسلوك غير المرغوب فيه،

---

[8]- المرجع نفسه، ص 254.
[9]- عبد الحافظ سلامة: مرجع سبق ذكره، ص 94.
[10]- عادل محمد العدل : مرجع سبق ذكره، ص 256.
[11]- عبد الحافظ سلامة: مرجع سبق ذكره، ص 95.

اعتمادا على مبادئ التعلم ذاتها، وتدعيم الاستجابات وتعزيزها، والسلوك الأخلاقي يتعلم ويكتسب بالطريقة ذاتها التي يكتسب فيها أي سلوك آخر وذلك عن طريق التعلم الاشراطي.[12]

وعليه فالقيم هي التي توجه العملية التربوية كاملة، وهي في نفس الوقت بحاجة إلى وسائل وأساليب ومعلمين ونظام، أي أنها في حاجة للتربية، إذن فالعلاقة بين القيم والتربية علاقة تبادلية، فبدون تربية يصعب غرس القيم وتنميتها، وبدون القيم تصبح التربية عقيمة غير ذات فائدة، والتربية التي نقصدها هنا تشمل التربية في البيت وفي المدرسة وفي المؤسسات الأخرى، وتشمل التربية النظامية وغير النظامية، وتبدأ زرع القيم وتنميتها لدى الفرد منذ أيام حياته الأولى وهو طفل بواسطة الأسرة ولا تنتهي إلا بانتهاء حياته على وجه الأرض.[13]

رابعا: العلاقة بين القيم والاتجاهات:

تعتبر الاتجاهات والقيم حالات مكتسبة من حالات الدافعية إي دوافع مكتسبة، فـ "كامبل" يحدد عددا من المصطلحات التي تتداخل معانيها والتي يستخدمها علماء النفس لوصف الدوافع الاجتماعية، ويصل عدد هذه المصطلحات عنده إلى 76 منها الدوافع المكتسبة والقيم –والاتجاهات-والإطار المرجعي، المعتقدات وما إليها حقا أن كلا من هذه المصطلحات يصف مظهرا مختلفا من مظاهر استعدادات الفرد للسلوك بشكل أو بآخر ولكنها كلها تتأثر بالتعلم الاجتماعي أو هي نتيجة له، وعلى الرغم من انه يمكن النظر إلى كل من الاتجاهات والقيم على أنهما حالات من حالات الدافعية ولهما خصائص تحديد ما هو متوقع وما هو مرغوب، فمن المألوف دراسة كل منهما على أنهما يختلفان عن بعضهما البعض ولعل أهم ما يفرق بينهما ما يلي:[14]

1- أن الأفراد لديهم اتجاهات تفوق في عددها القيم الموجودة عندهم ويقول في ذلك "روكيتش" أن الشخص البالغ قد تكون لديه عشرات الآلاف أو مئات الآلاف من المعتقدات، والآلاف من الاتجاهات، بيد أن لن يكون لديه سوى عشرات من القيم.

2- تتميز القيم عن الاتجاهات من ناحية الصلة بالثقافة، اذ ان الثقافة عادة يكون لها قيم معينة ولا يقال ان لها اتجاهات نفسية.

---

[12]- المرجع نفسه، ص 94-95.

[13]- عادل محمد العدل : مرجع سبق ذكره، ص 270

[14]- سعد جلال: علم النفس الاجتماعي-الاتجاهات التطبيقية المعاصرة- نشأة المعارف، الإسكندرية، 1984، ص ص 252-253.

3- لما كانت الاتجاهات تتجمع في شكل تكتلات فان القيم هي النواة التي تتجمع حولها هذه الاتجاهات لتوجيه السلوك على مدى طويل للبلوغ إلى هدف له جاذبيته.

4- ولما كانت كل من الاتجاهات والقيم من الحالات الدافعية التي توجه للفرد للاستجابة عن طريق الخصائص الإدراكية وهي الاختيار و"التصنيف" وتفسير الخبرة يمشي وما هو متوقع، فان قيم الفرد ترتبط بالنزعة المركزية لتكتل اتجاهاته، ولما كانت الاتجاهات والقيم متعلمة فإنها عرضة للتغير نتيجة التوصل لمعلومات جديدة، الا انه يبدو أن الاتجاهات أكثر عرضة للتغير بينما القيم الأساسية، أكثر ثباتا واستقرارا واستمرارا.

5- علىالرغم من وجود عناصر مشتركة بين الاتجاهات والقيم، إلا انه ليس من الضروري أن يكون هناك انسجام بينهما.

بينما ميز الدكتور عادل محمد العدل بين القيم والاتجاهات من عدة نواح من بينها: [15]

- القيم مفهوم اجتماعي يتعلق بماهية الأشياء ونظرة الجماعات والشعوب لها، أما الاتجاه فهو مفهوم فردي يتعلق بمواقف الأفراد والجماعات الصغيرة.

- القيم أكثر ثباتا وديمومة من الاتجاهات، وأصعب تغييرا وتطويرا.

- القيم غالبا ما يكون قياسها أسهل من قياس الاتجاهات بسبب ميل صاحبها لإعلانها.

- القيم يمكن التعبير عنها باعتبارها نزعات إنسانية وردود فعل المرء العاطفية نحو الأشياء، فهي تعبير عن المشاعر ومتقلبة.

- تشكل القيم جزءا من ثقافة الفرد والمجتمع، فهي قيم جماعية، أما الاتجاهات فهي لا تشكل جزءا من ثقافة مجتمع، بل هي نزوع فردي أو جماعي محدود نحو الأشياء والأشخاص.

- لا يمكن إخفاء القيم، ويحرص الإنسان على إظهارها في سلوكه، أما الاتجاهات فيمكن إخفاؤها.

- القيم لا تكون إلا ايجابية وخيرة، أما الاتجاهات فقد تكون ايجابية أو سلبية أو محايدة.

---

[15]- عادل محمد العدل : مرجع سبق ذكره، ص ص 267-268.